

مادة تاريخ العمارة والتدريس في الأكاديمية الحديثة.. نظرة تحليلية



غبرنا ان قدم لنا خدمة بتوثيق عمارتنا وان كان ذلك (صوريا)، انما طوم انفسنا لتقوفا عند حدود هذه (الصورية).

ومن هنا نصل الى النقطة الثالثة (التاريخية) بمعنى انه حبيس الاطار الزمني الذي كسبت به هذه المؤلفات من ناحية، وحبيس القوابل الصورية الجامدة التي تدرك بها هذا التاريخ المعماري بمعزل عن العوامل والآمال والألام لدى افراده من ناحية ثانية. ليس ذلك فحسب بل انه حبيس جومونا في احران ثقلة نوعية بقراءة هذا التاريخ المعماري بمنظور اليوم لا بمنظور التاريخ الذي صدرت به طبعا المؤلفات الأجنبية التي لا تتجدد مع مرور الأيام. ولذلك ترى ان البعض ممن يدرس تاريخ العمارة قد تقوفا هو ايضا عند مجموعة من ادوات العرض مادته واصبحت مادة تاريخ العمارة روتينا مملتا ترعب الطلبة حين ذكرا لخلوها من الجدة والشذ العقلي، بل هي حصة غالبا ما يصاحبها عرض للشرائح واطفاء الأنوار وبذلك تحلو الفرصة لغفوة سريعة استعدادا لمادة اخرى تتطلب نشاطا ذهنيا اكبر من مجرد الاستماع والتلقين، وبدلا من ان تكون حلقة نقاش مفتوح بعد تعيين مادة للقراءة والتحضير المسبق لهذه الحلقة - التي يتعلم منها الاساذ نفسه بعضا من الخواطر التي تتمخض عنها عقليات بعض طلبته الثيرة مما يفتح المجال لأبحاث ودراسات - تتحول هذه المادة الى بوتقة خمول وتناؤب واستسلام للزواجر البطء.

تلك كانت بعض الخواطر السريعة املا في ان تدق عقالا نيرة، وان كانت من اطلة او امثال فتقدم هذه الخطرات معتذرة بقوب الفجأل والحاء مع دعوة لتناول نقاش من القهوة لمن دامه النعاس.

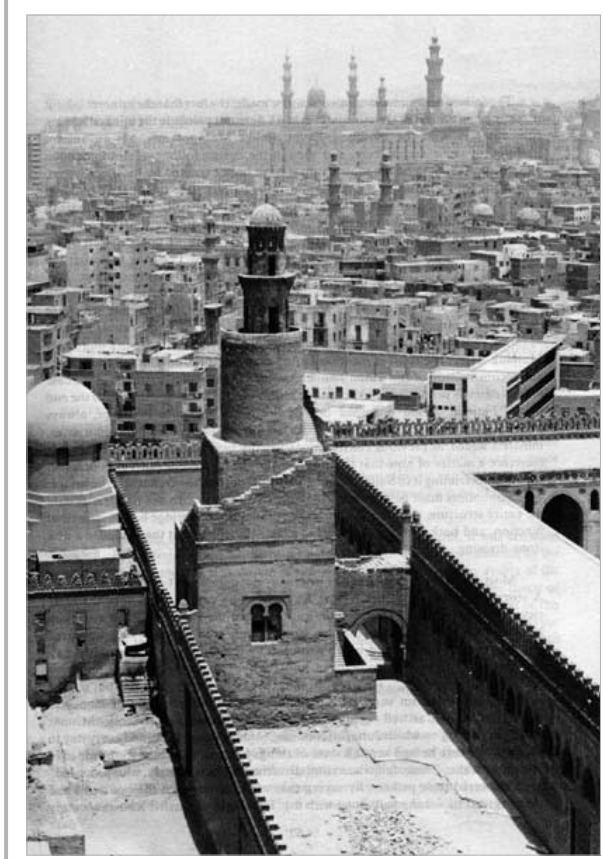
* دكتوراه نظرية العمارة - جامعة لندن

والحديث على مستوى العموميات التي قد تضرع منها القارئ الكريم، دعونا نسلط الضوء على حالة التاريخ في العمارة وتركز الضوء اكثر فأكثر على الآلية التي يتم بها بحث وتناول مادة تاريخ العمارة كمنهج تدريسي للطلبة. وبهنا في هذا المقال ان نتناول مجموعة من النقاط بالترتيب التالي: اولاً تاريخ العمارة كعلم منهجي وموضوع، والنقطة الثانية: مركزية او لامركزية دراسة تاريخ العمارة في الوعي العربي الإسلامي والثالثة: (التاريخية) دراسة وتدريس التاريخ المعماري في الأكاديمية الحديثة، ونظراً لأن دراسة التاريخ او الحديث عنه بشكل عام قد تبدو مملّة وجافة فسنقدم لاستقطاب انتباه القارئ بين الفينة والاخرى كيلا يستسلم للنعاس والله الموفق، ونبدأ بالنقطة الاولى المتعلقة بمنهجية تاريخ العمارة كمنهج علمي، فلا تعدى منهجية البحث في تاريخ العمارة القديمة او الحديثة او اقل الايجاب مجرد عرض سريري ووصفي لا يبرز الطرز والانماط والسلالات التي سادت في حقبة زمنية معينة، مع مسرد كرونولوجي يابرز المآثر والمخلفات التي تميزت بها تلك الفترة عن غيرها، بدرجة ان الربط الذهني بين الفترة الزمنية التي تدرس بها تاريخ العمارة وبين المكان يتم مباشرة بمجموعة من الانماط والطرز او مبني متميز الخ، فعلى سبيل المثال، عندما نذكر العمارة المصرية القديمة بتردد في الأذهان مباشرة الإهرامات او المسلات او غيرها، او عندما نذكر مدينة روما من ناحية معمارية يفتقر الكولوسيوم للذهن، او حينما نتكلم عن آثار مدينة تونس نتذكر جامع القيروان، او حين تذكر الاندلس نتدافع الذكريات المجيدة وتتناقض مجموعة من المياني لانها ن كقصص الحمراء وجامع غرناطة ومثمنة الجيرالد، او حينما نذكر مدينة القدس تمتزج مشاعر المجد والياء والفخر بقبة الصخرة وغيرها، يبدو ذلك منطقياً وشرعياً

□ وليد أحمد السيد

تمثل دراسة التاريخ البشري عموماً والتاريخ المتخصص يشتمل انواعه بشكل خاص حلقة مهمة ليس فقط في ادراك العلاقات المختلفة في السلسلة التي يمثلها الماضي والحاضر والمستقبل، بل تعدى هذه الامهمة هذا التصور كونها - اي دراسة التاريخ - ان تمت في اطار التكامل ما بين النتائج ومبداياتها فانها تؤدي الى توضيح معالم فترة ما بالإضافة الى تبين الاسس والمسببات التي جعلت تلك الفترة تبدو على ما تراها اليوم، بمعنى ان دراسة التاريخ يمكن ان تتم على مستويين احدهما ذو افضلية على الآخر: الاول وهي دراسة وصفية تتلمس استقراء نتائج دون الخوض في مضامين اعرف المعرفة الكيفية التي تمت بها افراز النواتج. اما الاخرى فعلى النقيض من الاولى هي دراسة عميقة تبحث في العوامل المسببة مع امكانية البحث ايضا في (الهاوش) حيث تم اسقاط اعتبارات دون اخرى وتحليل آلية الانتقاء. المستوى الثاني بلا شك يؤدي الى معرفة وادراك اوسع مع امكانية تكوين نموذجين: الاول هو الماضي كما كان، والثاني هو مجموعة نماذج افتراضية للماضي، كما يمكن ان يكون هذا النموذج او النماذج (الافتراضية) فادتها انها تمثل حقل تجارب للحاضر استنادا الى واقع ملموس (هو الماضي في هذه الحالة)، بمعنى ان هذه النماذج الافتراضية الوليدة هي نماذج لما كان حاضراً في يوم من الأيام، وبالتالي يمكن القياس على الواقع اليوم للوصول الى نماذج متعددة حديثة تساهم في تصميم الواقع الذي نعيش. وبكلمات اخرى يمكن ان تمثل دراسة التاريخ مقدمة لتصميم الحاضر بتغيير بعض العوامل والظروف المعاصرة باستقراء الدروس المستفادة من الماضي.

وبعيدا عن هذه الفلسفة العامة



التنسيق الحدائقي المنزلي الحديثة وعناصر التكوين المعماري



□ لوناورد - لندن

لا تخفي أهمية الحدائق بالشسبية للبيت ان تمثل - وبالاضافة الى جمال التكوينات والمساحات الخضراء والمتعددة الالوان باستعمال النباتات المختلفة - بمثابة الرئة والتنفس للبيت. ولكي تجعل حديقة منزلك ناجحة هلا تكتدك عزيزي القارئ من توافر بعض العناصر الاساسية التي نورد لك بعضها من قوائمها واثارها الايجابية على بيتك ونفسك.

ان تتنوع عناصر الحدائق وتنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية: الاولى هي عناصر التنسيق الحدائقي الناعمة Soft Landscape وهذه تشمل النباتات الحدائقية بمختلف انواعها، اما الثانية فهي عناصر التنسيق الحدائقي الصلبة Hard Landscape وتشمل المواد المستخدمة لتشكيل حديقةك مثل الحجر الذي يغطي المرات والحجر المستعمل لاسوار او المقاعد الحجرية او توفير حسب التصميم، وكذلك الاخشاب التي تشكل المعراش والمقاعد وغيرها، اما الثالثة فهو العنصر المائي ويشكل التصميم الناجح لاية حديقة او تنسيق حدائقي التوازن بين هذه العناصر الثلاثة معا، ونبين لك تاليا عزيزنا القارئ افكارا متعلقة بالعناصر الثلاثة دورها ووظيفتها في البيت بصريا ونفسيا ومناخيا.

اما العنصر الاول، فينبغي ان يتنوع بين مجموعات لا حصر لها من النباتات المختلفة الالوان والروائح العبقية وطبيعة النمو، فهناك النباتات الزاحفة الافقية التي تنمو على الارض وتفرش مساحات لا يأس بها مثل انواع الورد والزهار واليونيبير Juniper وهناك النباتات العمودية كالاشجار المنمرة وغير المنمرة اشجار التفاح والنخيل وغيرها (وسنبين في مقال تال

من مفردات التراث العربي الإسلامي: المآذن وتطورها في العمارة العربية الإسلامية (٢)

القيروان بتونس، او مثمنة الجيرالدا الفريدة بالاندلس.

هذا العرض لأنماط المآذن التي سادت في القاهرة في العصور الوسطى وفي مدن شمال أفريقيا والاندلس يدل على مدى المهارة المعمارية وعدم الجمود في اشتقاق مجموعات متنوعة من الانماط اعتمادا على وحدة الاصل، وقد شهدت المآذن بين هذه الانواع تنوعا في استعمال المواد والتكسيبات الخارجية، بالاضافة الى التشكيل الفريد والمتغير بين النسب للاقسام العديدة وصولا الى مجموعة رشيقة من المآذن التي تعد بحد ذاتها وبمعزل عن التكوين الكلي للمباني التي تنتمي اليها - ويحق - مآثر شاهدة على القدرة الفنية والتكوينية والتناسق البصري لدى المعمار المسلم في تلك الفترة المجيدة من تاريخ العمارة العربية الإسلامية.

وهذا البحث النظري في تاريخ تطور المآذن وتشكيلها لا يغفل أهمية اجراء بحث مواز ومصاحب لتتبع تطور وظيفية المآذنة منذ ذلك الوقت حتى الوقت الحاضر، ودراسة العلاقة بين الشكل وبين الوظيفة وهو ما يسكل موضوع بحث آخر.

الذي نما لاحقا لنموذج آخر حيث يوم من الجزئين الاول والثاني متمني الشكل فيما يكون الجزء الثالث اسطوانيا، واقدام الامثلة على هذا النوع هو مثمنة مسجد المارديني، وقد تطورت النماذج السابقة ليتميز نوع آخر يتميز بقاعدة مستطيلة يتلوها جزء اسطواني كما في مثمنة بيبيرس ١٣٠٤م، كما نتج نوع آخر اسطواني تام لجميع اجزاء المآذنة كما في مسجد اسنقر ١٣٤٧م، اما النموذج الذي تم تكراره بشكل كبير لاحقا فتمثل بمثمنة مسجد السلطان قايتباي التي تعود للقرن الخامس عشر الميلادي، التي احتوت نهائيا متميزة للمثمنة وبلغت النسب بين اقسام المآذنة اوجها، وبالاضافة الى النماذج التي ذكرت فقد كانت هناك نماذج فريدة مثل مثمنة جامع ابن طولون التي تميزت بالدرج الخارج الذي يلفك حول المآذنة بما يحاكي ملوية سامراء وهي من اروع الامثلة للمآذن في القاهرة نسيبا وتكوينا، وبالاضافة الى هذه النماذج الملوكية بالقاهرة هناك نماذج فريدة تنتمي لهذه المجموعة باقسامها الاربعة التي انتشرت في مدن شمال افريقيا، مثل مثمنة جامع

□ لوناورد - لندن

ذكرنا في اسبوع سابق اصل نشأة المآذنة في الاسلام، وانها عرفت بثلاثة الفاظ كل منها له مدلول واصل منشأ، وهي المآذنة والصومعة والمنارة، ووصلنا الى بداية تطور المآذن بشكل كبير بالشكل الذي نعرفه اليوم في مدن شمال افريقيا بشكل خاص، ومن ثم تنوع انماطها فيما بعد بين الاقاليم الاسلامية المترامية الاطراف، ليتميز عنها اليوم مجموعات كبيرة من الانماط التي تراوح بين التقليدية وبين المعاصرة التي تتناسج بالتجزئية احبانا، وتكمل في هذا الاسبوع الحديث عن بداية تطور المآذن في مدن شمال افريقيا.

بالبحث في الدراسات التي تتبعت اصل تطور المآذنة في مصر بالذات، يبدو ان اقدم اول نماذج للمآذنة هي مثمنة جامع الجيوشي التي تعود للعام ١٠٨٥م (انظر الصورة A)، التي تتكون من ثلاثة اقسام اسطوانية مستطيل الشكل، الذي تطور لاحقا ليصبح مثنى الشكل كما في مثمنة مسجد ابو الضعفر المبنية في العام ١١٥٧م. ومع الزمن حدثت تحورات على نسب الاقسام الثلاثة التي تتألف منها المآذنة، ان حصلت استطالة للقاعدة المستطيلة بالاسفل، وكذلك استغلال الجزء العلوي الاسطواني الشكل كما تراها في نموذج مسجد ومدرسة سائر وسنجر الجاولي ١٣٠٤م.

ونظرا لتكون جسم المآذنة من الثلاثة اقسام الرئيسية: القاعدة مستطيلة الشكل التي يرتفع عليها الجزء المربع انتهاء بالشكل الاسطواني او المثنى بالاضافة الى الجزء الصغير الرابع الذي يشكل نهاية كعبة صغيرة، فقد تضاربت نظريات الباحثين في اصل هذا التكوين العضوي، ومن هنا نشأت نظرية بين المستشرقين الذين بحثوا في هذا الموضوع من امثال Butler لرد اصل هذه التكوينات لبعض الابراج التي انتشرت في العصر الفرعوني، الا ان هذه النظرية لا تجد قبولا لدى بعض الباحثين امثال Creswell الذي يحدس هذه النظرية معلا ذلك بان الشكل الناتج للمآذنة في العصور الاسلامية قد تكونت عبر فترات طويلة وبالتدريج، فيما اندثر البرج الفرعوني بالاسكندرية قبل وقت طويل بفعل زلزال.

ويمكن بسهولة ملاحظة مجموعات من التحورات التي حدثت بشكل متسارع على الاقسام الاربعة للمآذنة ونسبها عبر الفترات المختلفة، فقد تحول الجزء الاسفل من المآذنة ليصبح مثنى الشكل تماما مثل الجزء الثالث، وبرزت الامثلة هو مثمنة بشتاق في العام ١٣٣٦م، وقد تتابعت بعدها مجموعة نماذج للمآذنة بشكلها الذي يحتوي جسما مثنى كقاعدة يتلوها شكل